العدد
06
2016

منيرفا

مجلة فلسفية محكّمة نصف سنوية

العدد رقم 06 (ديسمبر) 2016 ISSN2437-0703 - ISBN2015-2237 ملف العدد: تأويل إفريقيا

دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع

منيرفا الفلسفية Αθηνά

مجلة فلسفية محكّمة- نصف سنوية

العدد رقم 06(جانفي)2017 **ملف العدد: تأويل إفريقيا**

ISSN2437-0703

مجلة

منيرفا الفلسفية

ISSN2437-0703

للتواصل مع منيرفا

http://mineravpilosoph.onlc.fr/

https://www.facebook.com/minervaphilosophie/

minervarevuetlemcen@outlook.fr

ص ب 317 الرمشي 13500

تلمسان13000

الجزائر

تأويل إفريقيا

العدد رقم عدد مزدوج 06(جانفي)2017

منيرفا الفلسفية

مجلة فلسفية محكّمة- نصف سنوية
تصدر بالتنسيق مع مخبر أنثروبولوجيا الأديان ومقارنتها وفريق تكوين ماستير " الفلسفة والتنوع الثقافي ومشروع الدكتوراه "الفلسفة والتشكلات الثقافية المعاصرة-أبنية وممارسات"(جامعة تلمسان)

رئيس التحرير **د.بخضرة مونيس**

الهيئة الاستشارية

أد. شايف عكاشة(جامعة تلمسان) أد. عمر مهيبل(جامعة الجزائر)
أد. عبد الرحمان بوقاف(جامعة الجزائر) أد. عبد الله موسى(جامعة سعيدة)
أد. محمد عثمان الخشت(جامعة القاهرة، مصر) أد. سعدواي إبراهيم محمد(جامعة تونس)
أد. محمدي رياحي رشيدة(جامعة وهران) أد. موسوني محمد(جامعة تلمسان)
أد. إسماعيل نوري الربيعي(الجامعة الأهلية، البحرين) أد. بوعرفة عبد القادر(جامعة وهران2)

الهيئة العلمية

أد. كمال بومنير(جامعة الجزائر) د. بودومة عبدا القادر(جامعة تلمسان)
د. محمد شوقي الزين(جامعة تلمسان) د. أحمد عطار (جامعة تلمسان)
د .غيضان السيد علي(جامعة القاهرة) د. عامر عبد زيد الوائلي (جامعة الكوفة، العراق)
د. طوطاو الشريف (جامعة خنشلة) د. محمد بومانة(جامعة الجلفة)
د.عماد الدين إبراهيم عبد الرازق(مصر)

هيئة التحرير

د. دليل محمد بوزيان(جامعة تلمسان) د. غوزي مصطفى(جامعة تلمسان)
أ. مونيس أحمد(جامعة خنشلة) أ. نصيرة كرمين(جامعة وهران2)
أ. الحاج عبد القادر فؤاد(جامعة تلمسان)

شروط النشر

1- يجب أن تتوفر في البحوث المقدمة الأصالة العلمية الجادة ولم يسبق نشرها.

2- على البحوث المقدمة أن تحترم القواعد العلمية والمنهجية المتعارف عليها في إنجازها، ويوضع التهميش في أسفل الصفحة وآليا.

3- نوع الخط المعتمد في تحرير المتن Traditional Arabic ونمط (16) واعتماد الطريقة الآلية في الإحالات وتكون بنمط(14).

4- على صاحب البحث كتابة اسمه وعنوانه الالكتروني والبلد الذي ينتمي إليه أسفل عنوان البحث.

5- ضرورة إرفاق سيرة ذاتية مختصرة مع البحث وتكون في صفحة خاصة ضمن البحث.

6- إرفاق البحث بملخص باللغة العربية واللغة الإنجليزية.

7- حجم البحث لا يقل عن 3 ألاف كلمة و لا يزيد عن 6 ألف كلمة.

8- المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث المرفوضة إلى أصحابها.

9- تحتفظ المجلة بحق نشر البحوث وفق برنامجها الخاص.

10- تخضع كل البحوث المقدمة للتحكيم العلمي من طرف الهيئة العلمية وبسرية تامة.

11- البحوث التي ينصح المحكمون إعادة تعديلها وتصحيحها تعاد إلى أصحابها لإجراء تعديلات المطلوبة قبل نشرها.

12- كل من نشر له بحثه، يتحصل صاحبه على أربعة(04) نسخ من المجلة.

13- لاقتناء عددا منها، يرجى الاتصال على عناوينها المبيّنة في المجلة.

الأبحاث المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما تعبر عن آراء الباحثين أنفسهم.

قول في منيرفا

تنحدر كلمة منيرفا من أعماق التراث البشري، وبالتحديد من مثولوجيا الرومان والإغريق العتيق، علما أن الخطاب الميثولوجي في ذلك الزمن كان يشكّل الثقافة الشعبية لمجتمعاتها، وبالتالي كانت مكونات هذا الخطاب في صلب التداول الاجتماعي والإيمان الديني، مما يبعد كل غرابة عندما نجد اسم منيرفا كدلالة على الحكمة داخل هذه الثقافة، والذي كان مرتبطا بآلهة الحكمة والفنون.

في هذا السياق، قال هيجل قولته الشهيرة في تصديره لكتابه" فلسفة الحق" ما يلي<< إن بومة منيرفا لا تبدأ في الطيران إلا بعد أن يرخي الليل سدوله>>. وهي مقولة رمز بها هيجل إلى الفلسفة وخصائصها بصفة عامة، نظرا لتقارب خصائص كثيرة بين طائر البوم الذي يفضل العزلة والسكون، ويصطاد في جنح الظلام، والفلسفة كنشاط و تأمل والتزام. وجملة هذه الخصائص جعلت منهما رمزا لمحبة الحكمة ومحبتها في الثقافة الغربية.

إن الفلسفة كما أكد هيجل في مقولته هذه، لا تظهر حيويتها ومفعولها إلا بعد أن يكتمل الواقع بناؤه، وبالتالي تحددت مهمة الفلسفة دوما في الكشف عن الأفكار والركائز الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، أي أنها تظهر متأخرة بعد أن تكون النظم الاجتماعية قد اكتملت وشاخت.

وفي منطقة أخرى من مناطق نص فلسفة الحق، كتب هيجل قائلا: أن الفلسفة ترسم لوحتها الرمادية، فتضع لونا رماديا فوق لون رمادي. فإن ذلك يكون إيذانا بأن صورة من صور الحياة قد هرمت، أو شكلا من أشكال الحياة قد أصبح عتيق، لكن ما تضعه الفلسفة من لون رمادي فوق لون رمادي، لا يمكن أن يجدد شباب الحياة و لكنه يفهمها فحسب.

ويقصد من هذا الرسم أن هناك فكرا شائعا في حياة الناس اليومية في شتى المجالات ، تأتي من أجله الفلسفة كفكر ثان منعكس، لتجعل منه موضوعا لها.

وهذا هو سر تأخر ظهور الفلسفة في المجتمع، بعد أن تكون الحياة قد دبت واكتملت وقد تعوّد عليها الناس وصارت شيئا مألوفا لديهم، وعليه تأتي الفلسفة لتعيد تقديم ما كان مألوفا للناس على أنه غير مألوف.

في ظل الظروف العصيبة التي يمر بها عالمنا المعاصر، وتحت ثقل دلالات منيرفا وطول تاريخها العتيق، جاءت هذه المجلة الفلسفية الحاملة لمقومات هذا الاسم، لعلها تكون فضاءا مناسبا للتأمل والإبداع الفلسفي للكثير من الباحثين وهواة التفلسف والتأمل والفكر الحر النزيه، لتحمل بين صفحاتها ما جادت به قرائحهم التأملية وأفكارهم الفلسفية لملأ الفراغ الحاصل بيننا في هذا المجال، الأمر الذي جعل منها مجلة متخصصة في شؤون الفلسفة لا غير، تسعى لنشر كل ما يتناول في عالم الفلسفة الكونية وفق برامجها الخاصة، الشيء الذي سيجعلها فوق أي اعتبارات ضيقة أو خلفيات خاصة أو إيديولوجيات زائفة.

إن مجلة منيرفا تدعوا وترحب بكل من يريد أن ينخرط في نادي الكتابة الفلسفية، وتقيّيد أفكارهم في معاقلها، ولتبادل وجهات النظر والآراء داخل هذا العالم، الذي بات أكثر من أي وقت مضى بحاجة لطلاء فلسفي له، وإعادة ترميمه وتلميعه من جديد، وترسيخ الثقة فيه لجعله المكان الوحيد الذي تولد فيه الحياة المرجوة، بفعل غرس فيه قيم السلم والحرية والتسامح والاختلاف والمرح وحتى اللعب ولكل ما يدخل في تكوين عجينة الإنسانية، خاصة وأن ميلادها تزامن مع هبوب عواصف من كل جهة وصوب على مجتماعاتنا المعاصرة، جعلت من جماهيرها أكثر قلقا وغثيانا، مما جعلنا نعتقد أنه هو الزمن المناسب للتفلسف.

عن رئيس التحرير

فهرس

افتتاحية: همجية الاستعمار في إفريقيا: قراءة في أعمال عمار بلخوجة.....11

رئيس التحرير

1) ملف العدد: تأويل إفريقيا

–إفريقيا ترد بالكتابة أو الرواية كتاريخ مضاد.....25

أ. صبرينة شناف (جامعة باتنة)

– السنيما الإفريقية: المسار والتحدي.....37

أ. عتوتي زهية (جامعة تلمسان)

– الموروث الثقافي من المحلي إلى العالمي: رواية أشياء تتداعى ليتشينوا أتشي نموذجا..... 51

أ. وردة لواتي(المركز الجامعي بتمنراست)

– سطوة العرف القبلي في الثقافة الإفريقية: فحص لأهم الأساطير التأسيسية.....65

أ. وردة لواتي(المركز الجامعي بتمنراست)

عبادة الأسلاف في إفريقيا جنوب الصحراء: الجذور والطقوس.....**79**

أ. وردة لواتي(المركز الجامعي تمنراست)

أ. مراد بن قيطة(جامعة عنابة)

–مقومات الإنية الجزائرية لدى مولود قاسم نايت بلقاسم.....**97**

(ب) فارس خيرة(جامعة مستغانم)

د. حموم لخضر(جامعة مستغانم

2) ملف الدراسات الفلسفية

– الإسلاميات التطبيقية عند محمد أركون.....**117**

(ب)شريقي أنيسة(جامعة سعيدة)

–الرمز والمصطلح في اللغة الصوفية.....**127**

(ب) عاشوري أحمد(جامعة تلمسان)

–الفضائيات المتخصصة والتنشئة الاجتماعية للأطفال.....**139**

(ب)لدرع نعيمة(جامعة تلمسان)

–جدل العقل واستكمال التنوير.....**151**

أ. عصام موخلي(المغرب)

–جوهر الحضارة في مشروع مالك بن نبي.....**173**
(ب) تفاحي فتيحة (جامعة سعيدة)
–في جينيالوجيا الإغتراب أو الاغتراب في عيادة ماركس.....**181**
(ب) سلام الزويدي(جامعة المنار، تونس)
–جدلية الاغتراب والاعتراف: التأصيل الفلسفي لفكرة الاعتراف عند أكسل هونت.....**201**
مونيس أحمد(جامعة البليدة2)
طبوغرافية الإنسان العربي: بحث حول الهامش.....**207**
(ب) بلال برلال(المدرسة العليا للأساتذة، مكناس، المغرب)
–نقد الحداثة الغربية في فكر المسيري.....**225**
أ. لندة واضح(جامعة باتنة1)

3)ملف الترجمة

كانط وإفريقيا: المسالة العالمية(كيزيتو أوونا).....**247**

ترجمة: أ. محمد أمين بن جيلالي(جامعة بومرداس)
–السعادة من منظور الفارابي.....**259**
أ. نور الدين علوش(المغرب)

افتتاحية...

الهمجية الاستعمارية في أفريقيا

قراءة في رؤية "عمار بلخوجة" لبشاعة الاستعمار في إفريقيا

د. مونيس بخضرة(جامعة تلمسان)

ملخص:

يعد المؤرخ عمار بلخوجة أحد المؤلفين الجزائريين البارزين على الساحة الإعلامية والثقافية، وتأتي أهميته كونه عاصر المرحلة الاستعمارية ومرحلة ما بعد الاستعمار(الاستقلال)، كتب كتبا عديدة عن بشاعة الاستعمار وجرائمه، وقد تميزت كتاباته بالكثافة في تسجيل الأحداث وباعتماده الأسلوب العلمي، وقد وظف مناهج العلوم الإنسانية في كتاباته التاريخية، ونحن في هذه الدراسة سنحلل كتابه"همجية الاستعمار في إفريقيا" والذي حلل فيه جرائم الاستعمار الفرنسي وبشاعته في إفريقيا.

Abstract :

Of Amar Belkhodja is one of the Algerians prominent authors on media and cultural scene, come significance as the contemporary stage of the colonial and post-colonial, many books about the ugliness of colonialism and its crimes wrote, was marked by his writings density in the event logging and adopting scientific method, he has hired the humanities curriculum in historical writings and we are going to analyze in this study « Barbarie coloniale en Afrique » book in which the crimes of French colonialism in Africa analyzed.

على سبيل التمهيد:

يقول فرحات عباس:(إن التاريخ يحتوي على الأسباب والأحداث، وعلى كيفية تأويلها، إنه أقرب إلى الفن منه إلى العلم لأنه تتصارع فيه الأهواء البشرية)([1])، هو قول يؤسس لانفتاح عدد كبير من المؤرخين الجزائريين المخضرمين على الحادثة التاريخية التي كان وراءها المستعمر بدرجة أولى أكثر من غيره من العوامل، لا الحادثة كما أرخ له هو نفسه،ومن بين هؤلاء نجد الكاتب والمؤرخ والمثقف"عمار بلخوجة". والذي كشف على أن تاريخ أفريقيا معظمهمكتوب من طرف الأوربيين، ومع عدم إنكار نزاهة بعضهم، إلا أنه كما قال "فرحات" لا يسعنا أن نقول بأن المؤرخين كتبوا دائما لمواطنيهم، ولذا فإنهم دافعوا بوعي أو بغير وعي عن مصالح أوطانهم([2])، ولهذا جاء عمار بلخوجة لأن يكشف المغالاطات المؤرخين الأوربيين لما حداث.

---

[1] فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة ابو بكر رحال، مطبعة الفضالة، المغرب، ص50.

[2] الزواوي بغورة، الهوية والتاريخ، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ناشرون، ط1، 2015، ص99.

يقف الكاتب والإعلامي(عمار بلخوجة) في كتابه الذي حمل عنوان(الهمجية الاستعمارية في إفريقيا) على حقائق عديدة ومتنوعة كشفت عن أثار التواجد المد الاستعماري على القارة الإفريقية بأكملها، معتمدا في كشفه هذا على أدوات منهجية مضبوطة وعلى التحليل التاريخي للأبرز الأحداث التاريخية التي عرفتها المجتمعات الإفريقية في مواجهة مستعمريها، ومن بين الأدوات المنهجية التي وظفها الكاتب نجد اعتماده على التحديد الجغرافي ولتنوع الثقافي والإحصاء السكاني في تفكيكه للحدث التاريخي لشعب ما، وهذا ما يعكس مدى تشبع الكاتب بمنهجيات العلوم الإنسانية والاجتماعية في قراءته للأحداث، مما أعطى لكامل المحطات التي توقف عندها في كتابه هذا طابعا علميا واضحا في تعاطيه للمعلومات التاريخية، مما انعكس على أسلوبه في عرض الأحداث وللمحطات الأساسية التي عاشتها الشعوب الإفريقية في مجابهتها للمستعمر.

جاء كتاب عمار بلخوجة"Barbarie coloniale en Afrique " الصادر عن دار" Editions anep" والذي قدمه الأستاذ" جيلالي ساري" في 155صفحة، اتسم أسلوبه بالوضوح والتدقيق بالاستناد إلى الحقب الزمانية والأعلام والأماكن الجغرافية التي وقف عليها مؤلف هذا الكتاب. كما اتسم أيضا بالتوثيق للمحطات التاريخية التي تناولها موضوع هذا الكتاب، كما ظهر الكاتب متشبعا بثقافة تاريخية كبيرة وبدراية واسعة لما فعله الاستعمار بتعدد جنسياته في الشعوب الإفريقية.

ومن خلال فقرات هذا الكتاب، يشعر القارئ بحرارة الكاتب وحماسته الشديدة في تناوله لحيثيات الموضوع، إلى درجة أنه يلامس تأثره بالمجازر الوحشية التي مراسها المستعمر في حق الأفارقة، مما يعكس صدق الكاتب في كتابة نصه، والذي لم يخف تعاطفه ومساندته لشعوب إفريقيا التي فعلا عانت من ويلات وحشية الاستعمار لقرون طويلة من الزمن أكثر من غيرهم على وجه المعمور.

وأيضا، ظهر مؤلف هذا الكتاب بمعرفته لحيثيات دقيقة تخص الحقب الاستعمارية التي توالت على إفريقيا، الأمر الذي أعطى لكتابه هذا بعدا استراتجيا في التأريخ لمرحة حساسة مرت بها إفريقيا عامة، وعليه يمكن إدراج هذا العمل ضمن الأعمال التي أرخت لتاريخ إفريقيا، بعد جعل منه إضافة مهمة جدا للدراسات التي تخص هذا الموضوع، خاصة وأن مكتباتنا الجزائرية تكاد تفتقر لهكذا دراسات التي تهتم بالشأن الإفريقي.

والنقطة ما قبل الأخيرة، هي التي ظهرت في هذا الكتاب، هي أن الكاتب لم يشير إلى المراجع والنصوص التي اقتبس أو اعتمدها في التوثيق وتحرير نصه، وهذا ما جعل هذا النص يظهر في شكل شهادة لمثقف على دراية كبيرة بالشؤون الإفريقية خاصة تلك المتعلقة بالمرحلة الاستعمارية، وكأنه أيضا نصا إعلاميا لباحث ومحقق متخصص في الشأن الإفريقي.

والنقطة الأخيرة، هي أن الكاتب عرج على أكثر المجتمعات الإفريقية التي عانت من ويلات الاستعمار أكثر من غيرها، مثل وقوفه على حالة: الجزائر، تونس، المغرب، ساحل العاج، مغدشقر والكاميرون. بما أن تاريخها الاستعماري كان حافلا بالأحداث التي مارسها المستعمر في حقها.

جيلالي ساري مقدما للكتاب:

يقر "جيلالي ساري" في مقدمه أن الدراسات التي أجريت من قبل عمار بلخوجة هي دراسة متأنية أنجزها بعناية فائقة، كان فيها كالمراقب والمدقق. كما هي موثقة بشكل جيد سواء من ناحية التحقيق، الذي فيها يتابع بشكل حثيث على أرض الواقع، وذلك من خلال دراسة نقدية من أي وثيقة أتيحت، وغالبا ما حول مواضيع

مختلفة تتعلق بالمدينة والثقافة التي لعبت دائما دورا رئيسيا في التطور للجزائر عبرها تاريخها النضالي و موقعها الجغرافي.

ومن بين المدن التي عرفت إسهامها في تاريخ الجزائر الثقافي والثوري، يقدم لنا الكاتب " تيارت"، التي اعتبرها المركز الرئيسي للتحولات الكبرى التي عرفها الغرب الجزائري.

ثمن" مقدم الكتاب" الأدوار المهمة التي قام بها "عمار بلخوجة" في كتاباته ومقالاته ، والذي أشار أنه ينبغي أن يكون موضع تقدير بالقيمة الحقيقية لهذا المنشور بموضوعه الجيد، الذي ركز على تطور الحركات الكفاحية ولبعض الأبطال على غرار المرحوم" عدة حمداني" الذي يعد أحد أبطال المنقطة في سنة 1957 إلى سنة 1961([3]).

كانت هذه التحقيقات، في البداية مقتصرة على منطقة محددة جيدا، وبسرعة انتقل إلى كافة ربوع الوطن، ليشمل العديد من البلدان والشعوب التي عرفت ظاهرة الاستعمار وإفرازاته السلبية من مجازر وإبادة .هذا هو التوليف الذي قدمه الكاتب"عمار بلخوجة" في كتابه هذا من خلال السرد المكثف، ويرى "جيلالي ساري" أن الكاتب وفق في اختيار الحالات التي شملها التحقيق والدراسة،وهي قد فاجأت المتتبعين والمختصين بكثافة المعلومات والقدرة الهائلة على التحليل بأسلوب علمي بسيط، وخصوصا عندما يتعلق الأمر بسرد وقاع التي بقيت مجهولة لم يشر إليها في الفترات السابقة. والأمر لا يختلف عن باقي الدراسات التي أجراها سابقا وبعضها لم ينشر لسبب أو لسبب آخر، وقد أشار "عمار بلخوجة" إلى بعض النصوص المهمة التي اهتمت بالموضوع مثل: عرق المقنعين، التي نشرت في 1911ل" بول فاغن دي أوكتو"والتي ظلت محظورة .فيقول: نحن مدينون لهذا المؤلف الذي كشف عن جرائم الاستعمار التي ترتكب باسم حضارة وقيمها .فهو كان قريبا من ممارسات الاستعمار من خلال المستعمرات الفرنسية الرئيسية، ولحسن الحظ، تم إعادة إصدارها من جديد بفضل: ديسكفري (باريس) في عام 1994.

لقد سبق لعمار بلخوجة وأن قدم ومضات إعلامية كشاهد على وضعية وعلى وثائق ثرية مهمة، والتي كشفت عن كل أصول نظام مدان في معظم دول الجنوب، التي كانت واقعة تحت الهيمنة والاغتراب بأشكال مختلفة ومتعددة. وما شهدته من الحملات والغارات والابتزازات، والتي شوهت كثيرا الحياة الإنسانية لتلك الدول، وللأسف إلى يوم هذا، للم تضبط الأرقام الحقيقية للضحايا والخسائر العامة الناتجة عن الاستعمار .

ساهم الاستعمار في نشر تقارير مضللة عن ما حدث في المستعمرات ، في كثير من الأحيان لم تكن موضوعية تعكس لامبالاته وازدرائه للشعوب المستعمرة، ورغم هذا يوجد كثير من الأصوات الحرة وهم أبناء الدول المستعمرة من تنادي بذكر الحقائق كما هي عبر كتاباتهم ومنظماتهم ونشاطاتهم الخيرة في أوروبا وأمريكا.

مناهضة الاستعمار

اعتبر "عمار بلخوجة" أن الغزوات الاستعمارية لا تستحق الذكر باعتبارها جريمة قاسية ضد الإنسانية . وعليه سيكون لدينا كل الفرص لإثبات في صفحات هذا الكتاب الذي يكشف عن حقائق مرة وأرقام مروعة لما فعله الاستعمار في المستعمرات الإفريقية، فهناك ألاف الجثث لا زالت أصحابها مجهولة نتيجة التعتيم في البحث

[3] Amar Belkhodja, Barbarie coloniale en Afrique, Editions ANEP,2002. P05.

والإعلام ونكران الحقائق والشهادات الحية، وهذا بسبب الضغوطات التي تمارسها بعض اللوبيات الاستعمارية على مجرى التحقيق والتوثيق. بما فيهم العديد من المنظرين الفرنسيين، ورغم ما حدث إلا أنهم لا يزالون متمسكين بفكرة أن الحملات الاستعمارية هي مشروع مهم للحضارة البشرية، والتي أتت لتحضر الشعوب المتخلفة حسب زعمهم.

وأيضا هناك من الدارسين والمثقفين الفرنسيين من نظروا للاستعمار وقادوا حملاته، وكانوا قادة لجرائم جماعية حسب الكاتب"عمار بلخوجة"، مثلما ذهب إليه "ألبرت ساغو" عندما قال أن الحضارة هي إيثار للآخرين ومفيدة لهم([4]) وأيضا يباشرون على المجازر، مما أعطى فرصة للغزو الأوربي فرصة لارتكاب المزيد من الإبادة الجامعية.

عرفت البلدان المستعمرة بأنها بلدان غنية وواسعة ومتنوعة، واعتمد الاستعمار فيها في إبادتهم على بعض السكان الأصلين، ولا يزال منهم متواجدا، وفي بعض المستعمرات لا يزال المستعمر متواجدا إلى يومنا هذا رغم معارضة لسكان الأصليين له بطرق إنسانية، مثلما هو حادث لسكان أمريكا الشمالية، الذي أصبحوا اليوم أقلية مضطهدة.

فمن الصعب جدا الإشارة بشكل واف إلى جحيم النصوص التي تشهد على الاستعمار وتفضحه، والتي معظمها كتبها المثقف الفرنسي نفسه، إلا أن ما نراه مفيدا ويندرج في السياق العام الفكري والسياسي والنضالي لهذا المثقف، هو ضرورة الإشارة إلى ذلك التناقض الكبير الذي يعاني منه، والمتمثل في إيمانه وقناعته بمبادئ الثورة الفرنسية وفلسفة الأنوار والأيديولوجية باعتبارها أيديولوجيا تقوم على الحرية والليبرالية وحقوق الإنسان والتقدم، وبين فظاعة الاستعمار([5]).

يبنى الاستعمار في البداية على شعارات سامية مستخلصة من الثقافة والحضارة .وذلك هو النهج الذي وضعه الكتاب والسياسيين الفرنسية الذين لا يحبون لنا أن نقوم بتقييم سلبي بحت من الوجود الاستعماري مثلما يقول"عمار بلخوجة" . كما كان يدعي أن الأقلية السكانية من السكان الأصليين لا يستطيعون بلوغ الحضارة بمفردهم خاصة وأنهم غارقون في الجهل والأمية حسب التقارير التي أعدها الفرنسيون. ففي عام 1962 على سبيل المثال، كان الشعب الجزائري تصل نسبة الأمية فيه إلى 95 بالمائة باللغتين العربية والفرنسية، فالأمية هي الذريعة التي تمسك بها الاستعمار في مشروعه الهمجي.

هذا النوع من العنف لا يقاس بهمجية الموجودة في كل مكان وطأها الاستعمار، فحيث ما وجد إلا وظهرت وحشيته في كل مكان في جميع البلدان التي غزاها، وتميز الوجود الاستعماري فيها بالجرائم الجماعية .لأنه ولد من العنف والسرقة، والاستعمار لا يزال يعيش في العنف والسرقة، كما يقول الكاتب"عمار بلخوجة".

يقول الكاتب، أن هدفنا هو ليس تحليل ظاهرة وكل ما أنتجته هذه الكارثة(الاستعمار)، ولكن قبل كل شيء لتسليط الضوء على ما نعتبره الأكثر الشجب والتنديد، وهي مذابح السكان، وهذا هو الأهم من الكتابة – أن عن حجم الدمار الشامل الذي مارسه على الحالة البشرية ومجرى الإنسانية.

---

[4] Amar Belkhodja, Barbarie coloniale en Afrique, p05

[5] الزواوي بغورة، الهوية والتاريخ،مرجع سابق، ص103.

هذا هو السبب دعم الغزوات الاستعمارية كل من هو من أصل أوروبي، وهو دعم يمثل جريمة في حق الإنسانية.

يقول "عمار بلخوجة": نحن مدينون لرجل نكرم ذكراه مع الكثير من الاحترام .نكرم الشرفاء من أمثال: الدكتور بول فين دي أوكتو الذي شهد وقاع الحرب(1943-1859) وندد بها.

غالبا ما أظهر النائب بول فين دي أوكتو سخطه واشمئزازه من الحكومة الفرنسية على النهب والمذابح التي ترتكب باسم الشعب الفرنسي في أفريقيا .فهو كان طبيبا في القطاع الفرنسي وعيش جرائمه ، ومن الرحلات والشهادات جمع حقائق كثير عن المسؤولين الفرنسيين آنذاك.

وقام كثير من الصحفيين والجنود والسياسيين والأصدقاء الذين تعاملوا معه على تكريمه وتمجيده على جرأته في فضع همجية الاستعمار بصفة عامة والفرنسي على وجه الخصوص.

حملات دموية في المغرب

يتناول "عمار بلخوجة" أوضاع المستعمرات التي كانت تابعة للاستعمار الفرنسي، كاشفا جرائمه وسلبياته فيها، فيرى أن في بداية القرن العشرين، شهد المغرب مثلا قمعا لا محدود من طرف الاستعمار الفرنسي بما أن المغرب كان يثير شهوات الاستعمار الفرنسي والإسباني بخيراته، فيؤكد أن الجيش الفرنسي قمع بشكل دموي جميع الانتفاضات المحلي([6]) سواء قبل إعلانها محمية أو بعد مات في هذه الانتفاضات الآلاف من المتظاهرين. وهي مجازر ارتكبت في حق المقاومة الأولى للغزو الفرنسي سنة 1912 ليستمر بعد هذا التاريخ قرابة 50 عاما من الاحتلال، وهذه المظاهرات جاءت تطالب بإنهاء الوجود الفرنسي المؤلم والمهين.

على الرغم من تغيير الاستعمار أسالبه في المغرب لتخفيف من هيجان الجماهير واعتماده لروح الجديدة التي تحاول فرض بعض المزايا تخص الغزو والإدارة، وفعلا عانى المغرب كثيرا من الوجود الاستعماري ، ويعطي الكاتب" عمار بالخوجة" عدة أمثلة عن ذلك بذكره للكثير من المحطات التاريخية التي عايشها المغاربة في مواجهتهم للاستعمار الفرنسي، فق دمر بالفعل المناظر الطبيعية للمغرب في غضون بضعة أيام فقط، وليس كوخ واحد، وأعطى الاحتلال الفرنسي لنفسه حق جميع الانتهاكات والنهب والإغارة على القرى والمداشر. ومن أبرز المحطات التي أشار إليها الكاتب"عمار بلخوجة"نجد:

1-مجزرة القصبة أنفلوس، جانفي 1912

2-على اعتداء مدينة مراكش: في هذه المدينة تعرض سكان قصبة أنفلوس لاعتداءات في حقهم من قبل الاستعمار ارتقت إلى مصاف المجزرة يأتم معانيها واعتبرها الكاتب بالمدينة الشهيدة([7]).

3-فاس: مدينة الشهداء

في يوم 30 مارس 1912 تعرضت مسيرة في فاس إلى هجمة دراماتيكية ، بسبب نيران مدافع القوات الاستعمارية. مدينة لم تشفع لها روحانيتها وسلامها وعاقة تاريخها الإسلامي الثري بالتراث والتقاليد انتهت بتوقيع اتفاقية مع مولاي حفيظ.

---

[6]Amar Belkhodja, Barbarie coloniale en Afrique ,17

[7] ibid, p18.

النهب والسرقة والجوع: بعد معاهدة 30مارس1912 التي جمعت بين مولاي حفيظ والاستعمار الفرنسي، أصبح المغرب محمية فرنسية بأكمله، وهي المعاهدة التي كلفت المقاومة المغربية الكثير من الشهداء ، حينما تعرض المغاربة إلى القتل والتهجير وتم تحويل مدينة فاس إلى عاصمة للمغرب من طرف الاستعمار، علما أنها تعرضت لجميع مظاهر النهب والتجويع والسرقة.

وبعد أن ثبت المستعمرين الأوروبيين أعلامهم في أفريقيا وآسيا، رأوا أن لهم الحق في ممارسة العنصرية وكل الممارسات الأخرى التي تميزهم.

استمرت حركات الإستطان بقمع السكان الأصليين في كامل أرجاء إفريقيا. والذي كان بدرجة عالية في السنغال والجزائر والمغرب وتونس ، وخير دليل قدوم الاستعمار على تهجير عدد كبير من الجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة ودمجهم في صفوف الجيش الفرنسي لقم الثورات المحلية بدءا من سنة 1871 إلى غاية سنة 1954 مرورا بحربين عالميتين، شارك فيها الجزائريين في الصفوف الأمامية([8]).

في العشرينيات من القرن الماضي على سبيل المثال: تم اعتقال زعماء السكان الأصليين لمكافحة ثورة "مير عبد الكريم الكتابي" وتم اعتقال الكثير من المغاربة وتم تجنيدهم في صفوف الجيش الفرنسي لمواجهة جيش القائد الفتنامي "هوشي منه" وهو السيناريو نفسه الذي اعتمدته إستراتيجية الاحتلال الفرنسي مع الحروب العالمية والإقليمية باعتماده بشكل كبير على أبناء المستعمرات التي احتلتها في غزوها لمناطق جديدة وفي الدفاع عن نفسها.

هذا جانب آخر من جوانب الظاهرة الاستعمارية التي اعتمدتها للحد من خسائر الأفراد العسكريين الفرنسيين في حروبها الكثيرة، بما في ذلك إدماجها في صفوف الغزو العسكري غير محدد وبطريقة عشوائية.

المغرب :الحماية من الذبح

ومن نتائج وجود الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، هو تلاعبه بحدود الدول وتغييرها لإحداث النزاعات الإقليمية ولإذكاء التفرقة بين شعوب المنطقة، و كانت من نتيجتها معانات كثير من الدول جراء هذا التلاعب إلى يومنا هذا .إن الشهية الأوروبية تحولت المغرب إلى محميتين: واحدة إسبانية، و الأخرى الفرنسية وهذا التقسيم فرض على المغاربة على ضرورة فتح جبهتين: الأولى ضد الاحتلال الإسباني، والثانية ضد الاحتلال الفرنسي .ومن بين أبرز قادة المقاومة المغربية كان"عبد الله الفاسي" و"الحسن محمد الوزاني" اللذان واجه الاحتلال الإسباني، واثنين من قادة آخرين منهم "عبد الخالق الطريس" و"مكي "حيث تحولت مناهضتهم للتواجد الاستعماري إلى برامج سياسية دعمت البرنامج السياسي للملكية وللسلطان محمد بن يوسف([9]) وهي الأحداث التي جعلت من الشعب المغربي أن يبقى مرتبطا بساسته وقيادته. إلا أنه بقي يعاني من همجية الفرنسيين خاصة وأنهم فرضوا حمايتهم على كل شيء مستخدمين مختلف أشكال العنف والقوة في بسط هيمنتهم ونفوذهم على المملكة.

ومن بين أهم الأحداث التي تعرض فيها المغاربة لاضطهاد الاستعمار الفرنسي، يذكر الكاتب" عمار بلخوجة" المحطات التالية:

1-أحداث الرباط –سلا(جانفي1944)

---

[8] Amar Belkhodja, Barbarie coloniale en Afrique, p19

[9] Amar Belkhodja, Barbarie coloniale en Afrique, p39

2-أحداث الدار البيضاء(مجزرة أبريل 1947)

3-أحداث تطوان (نيران فرنكو 1948)

4-الحملة العقابية في بني ملال (ماي1950)

5-مجازر الدار البيضاء (ديسمبر1952)

6-أحداث وجدة(أوت 1953)([10])

تونس الشهيد

تونس شهيدا هو عنوان الكتاب الذي كتبه الثائر "عبد العزيز الثعالبي" في بداية هذا القرن العشرين، وهو شخصية بارزة في صعود القومية التونسية. تسمية اقترنت بهمجية الاستعمار من السرقة والإهانة والقتل .

هذا هي تونس، هي مفترق طرق الحضارات ولؤلؤة المتوسط وبوابة إفريقيا، حيث كان سلوك الفرنسيين في تونس هو تشجيع الإرهاب وازدراء السكان، وتوريث الدم والبؤس والمرض للتونسيين.

عرفت تونس سقوط عدة أسماء مناضلة وحرة، منها عملت في المجال النقابي مثل "فرحات حشاد" وجميع العاملين المجهولين الآخرين سقطوا تحت الرصاص المستعمر، للانقضاض على الحركة العمالية التونسية، التي عرفت بنضالها ومناهضتها للسلطات الفرنسية. ويضرب الكاتب عدة أمثلة على ما عانى منه التونسيون.

1-أحداث قتل القصر(1 مارس 1937)

2- مأساة صفاقس(5-2أوت 1947)

3-إضراب في المناجم(نوفمبر 1941)

4-إضراب المزارعين الزراعية في سوق الخميس(نوفمبر 1949)

5-قمع عمال المزارع(جانفي 1950)

6-جرائم القتل(6نوفمبر 1950)

7- كفاح الطلبة (يناير 1952) ([11])

الغزوات الاستعمارية لأوروبا الجنائية

كل الجرائم التي قام بها المستعمر باختلاف جنسياته إلا وارتكبها بدافع عنصري بالدرجة الأولى، وأيضا بالتمييز العرقي، مثل التمييز بين الأبيض والأسود.

ورغم بعض الدعوات من الأوربيين أنفسهم لمحاربة التمييز بمختلف أشكاله، إلا أن العنصرية نظريا تبرر كل الجرائم وكل الشتائم. التي حدثت لأن الأسود في نظرهم ليس رجلا. الأسود هو رجل أسود "على حد تعبير الدكتور "فرانز فانون" الذي حلل ظاهر الاستعمار العنصري على أساس اللون، وكان مناضلا في صفوف الجزائريين كما دافع عن الجزائر بفلسفته وفكره. الجزائر هي أرض النضال كما قال، وقبلة المظلومين.

وجود العنصرية في أفريقيا كان نتيجة أحد مخلفات الاستعمار الذي تعامل مع السكان على أساس اللون وطبيعة الجسد، حين جعل من السود لا يختلفون عن الحيوانات. العنصرية هي شعور إنساني منحط، يسعى إلى رفض الآخر، بدياناتهم وتقاليدهم وعاداتهم فقط لأن لونهم ليس بأبيض.

---

[10] [10] Amar Belkhodja, Barbarie coloniale en Afrique, p45

[11] ibid, p55

هذه هي الطريقة التي ستؤجج الكراهية بين الأسود والأبيض، وبين المحليين والأوروبيين، وبتشجيعهم للتفرقة العنصرية، هم يضربون في عمق الحضارة ويتبنون مقولة(فرق تسد)، وعليه شهد الأفارقة كل أنواه التهميش والإقصاء، وأغلبهم وجهوا إلى الزراعة وإلى خدمة السادة والبيض ([12]).

ومن بين الأحداث التي وقف عندها الكاتب"عمار بلخوجة" بالتحليل والنقد نجد:

– مدغشقر :الدم الأحمر الداكن في المجازر جزيرة "أومبك"(أوت1897): إذ يبدو أن هذه الجزيرة الجميلة الواقعة مدغشقر الواقعة في حضن الطبيعة الإفريقية لم تسلم من همجية الفرنسيين ومن كراهية وشراسة الغزاة الأوروبيين.

–كينيا في سنة 1953: عرفوا الكينيون منذ القدم بفقرهم وتواضعهم وتمسكهم بعادات أسلافهم وأجدادهم، وأمرهم ازداد سوءا بعد غزوهم من طرف الاستعمار، فصودرت أملاك الشعب وأراضيهم الزراعية وحيواناتهم ، وفقدوا أيضا جنسيتهم، فكانت تركيبتهم السكانية قبل الاستعمار مزيج من المحليين والعرب والآسيويين .ففي عام 1953، بلغ عدد سكان كينيا 5 ملايين ونصف نسمة، منها: 13OOOمن أصول عربية، و30000euroéenآسيوي، و 125000 من جنسية أوربية وهي مستعمرة إنجليزية ([13])

–توغو :شهداء فوغان(1951)

شعب فوغان هم أكثر شعوب إفريقيا تمسكا بعاداتهم وقيمهم وتماسكهم العائلي وارتباطهم الشديد بقبائلهم وبالطبيعة، والذي تعرض لقم المستعمر الذي حاول إجهاض مسيرة المتظاهرين فقتل 7متظاهرين ناهيك عن الاعتقالات والإعدامات من غير محاكمة، ورغم هذه المحاولات، إلا أنهي لم تثني التوغوليين عن مقاومة الاستعمار وتم الحركة القومية توغو .

–ساحل العاج: كودي فوار

1– العبودية والسجن والموت

شمل تواجد الاستعمار الأوربي في أفريقيا الاستوائية وإفريقيا الغربية: مثل سنيغال، والشرق أيضا في سودان وغينيا، والجنوب في داهومي وساحل العاج والنيجر وفولتا العليا والكونغو، والغابون، وتشاد، وهي كلها دول تملك مساحات غابية شاسعة، استغلها الاستعمار في استغلال خشبها: فقط تم محو مساحة تغطي 1401000 هكتار. وقد تم انتهاج سياسة العزل، فمثلا في مجال الصحة العامة، كان هناك اثنان فقط من الأطباء ل: 2 مليون شخص في النيجر، و8الأطباء مقابل 3ملايين نسمة في دولة فولتا.

أما ساحل العاج الذي هو غني بالموارد الطبيعية (الذهب والماس والأخشاب والبن والكاكاو والموز) والتي أحكم عليها المستوطنين بقوة، وهيمنوا على التجارة والتحكم الصناعي وفي الحياة السياسية وتسليطهم العمل القسري والعبودية على المحليين، والتي استمرت تحت إشراف الإدارة الاستعمارية التي حرمت الأصلين من مواردهم ، وتم إحالتها وتوزيعها على مناطق تابعة للمستوطنين؟ ففي عام 1946، كان العامل الأسود (العاجي) يتلقى الأجر اليومي نحو 3.50 فرنك فقط. وبعد إنشاء الحزب الديمقراطي لساحل العاج في عام 1946، الذي بدأ

[12] Amar Belkhodja, Barbarie coloniale en Afrique, p60

[13] ibid., p68

يطالب بحقوق الإفواريين ويؤكد على النضال، وبدأت مطالب ونشاطاته تتسع في ساحل العاج، وفي نهاية عام 1946، ولد التجمع الديمقراطي الإفريقي في هوفويت. ويضرب الكاتب عدة أمثلة على معاناة الإفواريين ومنها:

1- 1947-1948: الترهيب والتهديد والقمع

2- مذابح يناير / مارس 1949

3- حوادث أبيجان 6 فبراير 1949

4- مجزرة فيركيسيدوغو مارس1949

5- مجزرة بوفل، وديمبوكرو وسيغيلا (يناير 1950) ([14])

مدغشقر :قصة المجزرة

تم دمج جزيرة مدغشقر مع الإمبراطوريه الاستعمارية الفرنسية في نهاية القرن19، والذي عرف حملات دموية وإضطهادات واسعة كلفت الشعب الملغاشي قرابة ألف قتيل ومفقود،ن ناهيك عن خسائر مادية معتبر كحرق القرى وإتلاف المزروعات، وقد شبه "عمار بلخوجة" عن إجرام الفرنسيين في حق الشعب الملغاشي بالتوحش وعمل الوحوش الضارية، وأصبحت مدغشقر فريسة من قبل وحوش جائعة . وتم توزيع الأراضي الزراعية الملغاشية التي قاربت: 1 148 541هكتار التي تم تسليمها للمستوطنين الفرنسيين وحوالي: 98355هكتار للأجانب من الأوربيين، وامتد النهب المناجم التعدين والغابات التي قدرت بنحو 4ملايين هكتار
فحولت حياة مدغشقر كلها إلى حياة بائسة .سكان مدينة ليل كانوا ضحايا جميع هذه الانتهاكات بما فيها . غلاء المعيشة والعنصرية البغيضة وجحيم الاستغلال .فكانت مدغشقر ضحية ارتكبت فيها مجزرة من أكبر المجازر في القرن العشرين.ومن المحطات التي وقف عندها "عمار بلخوجة" بالتحليل والكشف نجد:

1-تأسيس الحركة الوطنية السرية

2-حرق المنازل في الجزيرة الحمراء

3-القمع الوحشي، والفقر المدقع

4-أحداث مورامانغا

5-أفعال المجرم ميلس ([15])

الجزائر وويلات الاستعمار

عرفت الجزائر أبشع استعمار عرفه العصر الحديث، والمتمثل في الاستعمار الفرنسي، نظرا لاعتماده على أساليب القمع الهمجي وكل أنواع هدم الإنسان الثقافية والدينية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا الذي جعل من الفرد الجزائري لأن يعي طبيعة هذا الاستعمار من جهة ، ومن جهة أخرى منحه عزيمة فلاذية لا مثيل لها على ضرورة التمسك بخيار المقاومة مهما كانت الظروف والمحن([16]).

---

[14] Amar Belkhodja, Barbarie coloniale en Afrique ,p82

[15] Amar Belkhodja, Barbarie coloniale en Afrique, p101

[16] مونيس بخضرة، تاريخ الوعي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009، بيروت ص98.

يؤكد"عمار بلخوجة"، أن الجزائر عرفت أشرس استعمار ليس فحسب في إفريقيا وإنما في العالم كله، وعليه كانت فاتورة نضالها باهظ جدا، ولكنه اتسم بالبطولية والتشبث بخيار الكفاح، وجعلت منها ساحة للحرية العالمية وللفداء وللمطالبة بحقوق الشعوب المضطهدة.

-الإبادة بنيران المدافع والمجاعة

لم يتوقف تدفق الدم الجزائري منذ 1830حتى عام 1962 وقد أذاق الجيش الفرنسي شرّ الهزائم، ورغم شراسة أسالب الاستعمار الفرنسي في معاملته للجزائريين من خلال سوء المعاملة وانتهاج سياسة القتل الجماعي الذي صار فيما بعد شائعا.واعتماده للطرق السادية المنافية للقيم الإنسانية.

فمثلا قتل الجزائريين أصبح بمثابة نزهة للضباط والعسكر الفرنسي الذي امتد من 1830 إلى 1954، وهي كلها رذائل بعيدة عن ما يدعيه الفرنسيين في سياساتهم وما طالبت به ثورتهم، وعليه اتسم الاستعمار الفرنسي بالنفاق والحيلة في تعامله مع المستعمرات. ([17])

وخلال كل هذه المدة، تحولت الجزائر إلى حقل لتجاربهم المختلفة للأسلحة والقوانين والبرامج والخطط وغيرها ، وهي نموذج واضح للسادية التي عرف بها الأوربي في القرنين الماضيين .

وهنا يتوقف "عمار بلخوجة" عند أفكار الفيلسوف الأمريكي الذي ساند احتلال فرنسا للجزائر ألا وهو "لتوكفيل ألكسيس" والذي اعتبر أفكاره خطيرة للغاية تتسم بالخبث، فهم لم يعترفوا بالمجازر التي ارتكبت في جزائر من عام 1830 إلى 1962، وهنا يستنتج "عمار بلخوجة" أن الظاهرة الاستعمارية في عمومها آفة وجب على البشرية مستقبلا تجنبها والتقنين لها ومحاسبة مرتكبيها، كما دعى المثقفين والفنانين والمفكرين في العالم كله، على ضرورة شجبهم للاستعمار ومطالبة الدول الاستعمارية بضرورة تعويض الشعوب والمجتمعات التي استعمروها لعلها تكفر عن ذنبيها الذي لا يزال لصيقا في جبين الإنسانية وهو عار لا مثيل له في الحياة.

[17] ibid, p101